كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، خلال تكريم الراحل الدكتور افرام البعلبكي، يوم الجمعة الواقع فيه 16 كانون الأوّل (ديسمبر) 2022، في الطابق الخامس من المبنى C، في القاعة الكبرى، حَرَم العلوم الإنسانيّة.

اليوم إحتفال تكريم لا كغيره، إنّه تكريم لشخصيّة عزيزة علينا جميعًا،

افرام البعلبكي الأستاذ العالم، والكاتب، والفيلسوف والأديب كان كريمًا في عطائه وفي رسالته فيستحقّ منّا التكريم الوفير،

نحن اليوم نكرّم ذاكرة افرام بعلبكي وهي جزءٌ لا يتجزّأ من ذاكرتنا، ذاكرة كليّة الآداب الشرقيّة منذ العام 1902، والتزامه الأكاديميّ هو جزء ملتصق بمعهد الآداب الشرقيّة خلال عشرات السنوات، فأصبح افرام من صنّاع هذه الذاكرة البهيّة الثقافيّة الأكاديميّة المتميّزة. صنعها لا بل عجنها بفكره النيّر والنظاميّ وبعطائه المستمرّ بالرغم من كلّ النكبات والصعوبات، فاستحقّ أن يكون عضوًا فاعلاً في أسرة المعهد والجامعة.

نحن نكرّم اليوم فكرًا موسوعيًّا عرف الفلسفة بوجهَيها الغربيّ والعربيّ فرأى فيها قدرة الإنسان على تجاوز الذات والصعود إلى الأعالي، إلى ذلك الجبل الذي كثيرًا ما تحدّث عنه في نصوصه ومؤلّفاته. فذلك الجبل يمكن ألاّ يكون مكانًا معيّنًا، إلاّ إنّه تلك الحالة التي يعيشها المفكّر، حالة التآخي مع الروح من أجل صياغة الحقيقة وإن نسبيّة. تحدّث عن الفلسفة اللبنانيّة فرآها تقوم على قاعدتين : الثقافة الفلسفيّة المغموسة في تاريخ الفلسفة الشرقيّة وفي سعي الأديان للإجابة على أسئلة الإنسانيّة المصيريّة وكذلك التعدّديّة الاجتماعيّة والفكريّة، وهي غنىً للإنسان

اللبنانيّ. نحن نرى أنّ إفرام البعلبكي أصبح جزءًا من هذه الفلسفة الرياديّة.

نحن نكرّم معلّمًا استطاع أن يجذب نحوه العديد من التلامذة لا إلى رسالة يكتبونها أو أطروحة دكتوراه يقومون بإعدادها، بل إلى مدرسة فكريّة هدفها بناء الإنسان المفكّر الناقد العالم الذي يتكامل وينمو مع المعلّم. كم من الطلبة كانوا يأتون إليه كمن يأتي المحجّة، تجذبهم تلك القدرة المنهجيّة على توضيح المعاني وتحليل المفاهيم وربطها الواحد بالآخر الربط الصحيح. إنّه إفرام الحامل اسم قدّيس من عندنا افرام السريانيّ الذي اشتهر بالتأمّل اللاهوتيّ في القدسيّات وكتابة اللاهوت في أشعارٍ وازنة، ونحن في افرام البعلبكي رأينا العلم الصافي، لا من أجل الذات، بل من أجل بناء الإنسانيّة في كلّ يومٍ وفي كلّ لقاء وتجسّد اللاهوت في ضعف البشريّة.

نحن نكرّم صديقًا تستطيع أن تلجأ إليه وقت الشدّة ووقت طلب المشورة فيصغي إليك بكلّ جوارحه وذاتيّته. يقول أحيانًا جملة واحدة تساعد في فتح الطريق إلى الأفضل والأنسب.

نحن نكرّم اليوم في افرام البعلبكي لبنانيًّا جعل من المواطنيّة ومن فكر المواطنيّة، قاعدة صلبة لا يحيد عنها، المواطنيّة التي تبني الجسور بين الناس وبين الدولة والناس على قاعدة توحيد المقاييس من حيث الواجبات والحقوق، صادرة عن عقل ناظر وعمليّ في آنٍ واحدٍ، محدّدًا نظام العيش معًا كما هو واجب ولائق، متجاوزًا بالتالي نظامًا اخترعناه للمحاصصة وتفلّت العصبيّات والغرائز، يقوم على توزيع المغانم بين سياسيّ وآخر. أمام هذا الواقع، يدعو أفرام البعلبكي اللبنانيّ، كلّ لبنانيّ،

أن يعيد قراءة سلوكه ونظرته إلى الوطن وإلى الخير العامّ وأن يكون متواضعًا لا مدّعيًّا ومتغطرسًا، لأنّ بداية الإصلاح ونهايته هي فينا، في وجود كلّ واحد منّا ليصطلح حينذاك معنى التاريخ اللبنانيّ.

لا نقول وداعًا افرام أنت الرائحة الطيّبة التي ما زالت تتجوّل بيننا، بل إنّك معنا ومع الأسرة جميعًا، فمن يحبّ الحياة مثلك يبقى في الحياة لأنّه يرى الحبّ مدخلاً لوجود الإنسان في الحضور والغياب.